نقد الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣١٨ — ما أشبه فروع الإحسان بأصوله

البحتري : قال إبراهيم بن الحسن بن سهل : كان المأمون يتعصب للأوائل من الشعراء ، ويقول : انقضى الشعر مع ملك بني أمية . وكان عمي الفضل بن سهل يقول له : الأوائل حجة وفحول ، وهؤلاء أحسن تقريبا . إلى أن أنشده يوماً عبد الله بن أيوب التيمي شعراً مدحه فيه ، فلما بلغ قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر ... وأحسنُ منه ما أسرّ وأضمرا
يناجي له نفسا تريع بهمة ... إلى كل معروف وقلبا مطهرا[1]
ويخشع إكباراً له كلُّ ناظر ... ويأبى لخوف الله أن يتكبرا

فقال للفضل : ما بعد هذا مدح ، وما أشبه فروع الإحسان بأصوله !

٣١٩ — أشعر الشعراء

في (المثل السائر) لابن الأثير : يُروى عن بشار أنه وصف نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره ، فقيل له : ولمَ ذاك ؟ فقال: لأني نظمت اثنتي عشرة[2] الفَ قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد ، فيكون لي اثنا عشر الف بيت . وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لا له ، لأن (باقلا) لو نظم قصيداً ما خلا من بيت واحد جيد . وقد وصل إليّ ما يأبدي الناس من شعره فما وجدته بتلك الغاية التي ادعاها لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة إلى رديئه ، وتتعذر له الأبيات اليسيرة . ويلغني عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما أنهم قالوا هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة ، وهم عندي معذورون لأنهم ما وقفوا على معاني أبي تمام وأبي الطيب ولا على ديباجة البحتري. وهذ الموضع لا يستفتى فيه علماء العربية ، وإنما يستفتى فيه كاتب بليغ[3] أو شاعر مفلق ، فإن أهل كل علم أعلم به . على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب إلى الناس قاطبة ؛ وما من أحد إلا يحب أن يتكلم فيه حتى إني رأيت أجلاف العامة وأغتام[1] الأجناس كلهم يخوضون في فن الكتابة والشعر ، ويأتون بكل مضحكة . والمذهب عندي في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريراً والأخطل أشعر الشعراء أولا وآخراً ، ومن وقف على دواوينهم علم ما أشرت إليه . وأشعر من هؤلاء عندي الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام والبحتري والمتنبي فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء ؛ أما أبو تمام وأبو الطيب قربا المعاني ، وأما أبو عبادة قرب الألفاظ في ديباجتها وسبكها .

٣٢٠ — الشعر المغسول

في (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) لأبي عبيد الله المرزباني : قال البحتري : دعاني علي بن الجهم فمضيت إليه ، وأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السُّلمي . فقال لي : إنه (يُخلي) وأعادها مرات ولم أفهمها ، وأنفت أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفت أفكرت في الكلمة ، ونظرت في شعر أشجع فاذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة[2] ، ليس فيها بيت رائع ، وإذا هو يريد هذا بعينه : إنه يعمل الأبيات ولا تصيب فيها بيتاً نادراً كما أن الرامي إذا لم يصب من رشقه كله الغرض بشيء قيل (أخلى[3]) فجعل ذلك قياساً ، وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر

٣٢١ — وإنما لعماد تعشق الصور

أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الأصبهاني :

---

(١) تريع : ترجع ، تعود ، تنقاد . في الأساس : وعظته فأبى أن يريع

(٢) الألف مذكر وتأنيث العدد للقصيدة ، وهي رواية (الأغاني)

(٣) مثل ضياء الدين بن الأثير ...

(١) الأغتم : الأعجم وهو من لا يفصح شيئاً ، الغتمة العجمة في المنطق (التاج ، الأساس)

(٢) الأساس : كلام فلان مغسول ليس بممسول ، كما تقول : عريان وساذج للذي لا يتكلف فيه قائله كأنما غسل من التكلف والقعر غسلا أو من حقه أن يغسل ويطمس ، ومنه قولهم : على وجه فلان غسلة إذا كان حسناً ولا ملح عليه ويقال في ضده : على وجهه حفلة

(٣) لم تذكر كتب اللغة مثل (اللسان والتاج) هذا الحرف بذاك المعنى ، وكم كلمات فاتت المعجمات !

قوم لو انهمُ ارتاضوا لمـــا قرضوا
أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا [1]
لا يحسن الشعر ما لم يُســـترقّ له
حرّ الكلام ، وتستخدمْ له الفكَر
أنظرْ تجدْ صور الأشعار واحدة وإنما لِمعانٍ تعشق الصور

٣٢٢ — اعتبار الوزن والقافية

قال الصاحب فى رسالتـه (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) : كنت أقرأ على (الأستاذ الرئيس ابن العميد) شعر ابن المعتز متخيراً الأنفس فالأنفس ، فابتدأت قصيدة على المديد الأول [2] ، فرسم تجاوزها ، وقدّرته يحفظها ولا يرضاها . فسألته عنها ، فقال : هذا الوزن لا يقع طلبه للمحدثين جيد الشعر . فتتبعت عدة قصائد على هذا الضرب فوجدتها فى نهاية الضعف . وسمعته (أيده الله) يقول : إن أكثر الشعراء ليس [3] يدرون كيف يجب أن يوضع الشعر ، ويبتدأ النسج ، لأن حق الشاعر أن يتأمل الغرض الذى قصده ، والمعنى الذى اعتمده ، وينظر فى أىّ الأوزان يكون أحسن استمراراً ، ومع أى القوافى يحصل أجمل اطراداً ، فيركب مركباً لا يخشى انقطاعه والتياثه عليه

٣٢٣ — فلقى الله شبعان ريان رفيقا

قال أعرابى وهو يدعو الله بباب الكعبة : اللهم ميتة كيتة أبى خارجة . فسألوه ، فقال : أكل بَذَجاً [4] وشرب وطْباً [5] من اللبن ، وروى من النبيذ [1] ، ونام فى الشمس فمات ؛ فحقق الله شبعان ريان دفيئا

٣٢٤ — طلعها كأنه رؤوس الشياطين

فى (الكامل) : التشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد . قال عز وجل وله المثل الأعلى : (الزجاجة كأنها كوكب درى) وقال : (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) . وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية فقال : إنما يمثل الغائب بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها ؟ وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله : (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) . وهذه الآية قد جاء تفسيرها فى ضربين : أحدهما أن شجراً يقال له : (الأستن) منكر الصورة يقال لثمره : رؤوس الشياطين ، وزعم الأصمعى أن هذا الشجر يسمى الصوم [2] . والقول الآخر — وهو الذى يسبق إلى القلب — : إن الله شنع رؤوس الشياطين فى قلوب العباد ، وكان ذلك أبلغ من المعاينة ، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس [3]

٣٢٥ — الانتقل من حال الى حال

فى (تاريخ الطبرى) : قال أبو العتاهية : وجّه إلىّ المأمون يوماً فصرت إليه ، فألفيته مطرقاً مفكراً ، فأحجمت عن الدنو منه فى تلك الحال ، فرفع رأسه فنظر إلىّ ، وأشار بيده أن ادنُ فدنوت ، ثم أطرق ملياً ، ورفع رأسه فقال : يا أبا اسحق ، شأن النفس الملل وحُبُّ الاستطراف ، تأنس بالوحدة كما تأنس بالألفة . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين ، ولى فى هذا بيت . قال : وما هو ؟ قلت :

لا يُصلح النفس إذ كانت مقسَّمةً
إلا التنقّلُ من حال إلى حال

---

(١) (لهم) بهمزة وصل للضرورة (ارتاضوا) راضه فهو مروض وقد ارتاض . (قرضوا) : قرض الشعر قاله ، وله قريض حسن لأن الشعر ذو تقاطيع أو سمي بالقريض الذي هو الجرة ... (الأساس) . (شعر به) كنصر وكرم والأولى هي الفصيحة : علم به وفطن ، وحكى اللحياني : شعر لكذا إذا فطن له ، وشعر به بالفتح : عقله (التاج) . (شعر) كنصر وكرم شعراً قاله أو شعر كسكرم أجاده ، وهذا القول الذى ارتضاه الجماهير لأن (فعل) له دلالة على السجايا التى تنشأ عنها الاجادة ، وشعرت لفلان أى قلت له شعراً (التاج)

(٢) الحماسى :

فاسقنيها ياسواد بن عمرو إن جسمى بعد خالى لخل
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

(٣) اسمها ضمير الشأن

(٤) البذج : الحمل ، ولد الضأن كالتيتود من المعز

(٥) الوطب : سقاء اللبن ، الزق ، جمع القلة : أوطب والكثير : وطاب وأوطاب

(١) فى المحكم : إنما سمى نبيذاً لأن الذى يتخذه يأخذ تمراً أو زبيباً فينبذه فى وعاء أو سقاء عليه الماء ويتركه حتى يفور فيصير مسكراً ، والنبذ الطرح (التاج) ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر (النهاية) (٢) الصوم : شجر على شكل شخص الانسان

(٣) قال ابراهيم بن اسماعيل الكاتب لأبى عبيد : قال الله : (طلعها ...) وإنما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فقال : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهو لم ير الغول قط ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به (نزهة الالباء للأنبارى) وقيل : كأنه رءوس حيات فان العرب تسمى بعض الحيات شيطاناً ؛ حية له عرف قبيح المنظر (اللسان)